الباب الثالث

القضاء والقدر وإرادة الإنسان الحرة

مقدمة:

إن الكلمة العربية المقابلة لكلمة "Destiny" هي القدر. تعني هذه الكلمة في مشتقاتها أيضا التحديد ، إعطاء مقدار وشكل محددين والتقسيم والحكم. ويعرفها علماء المسلمين بأنها تدبير إلهي وتحديد وحكما لخلق الأشياء.

لننظر للآيات التالية ذات الصلة قبل ان نمضي قدما في مناقشة موضوع القضاء والقدر:

" وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)"الأنعام :٥٩"وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥) " (النمل: ٧٥)" إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) "(يس:١٢)"وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦)(الملك)

إن القضاء والقدر يأتيان بمعني واحدا". محدد سلفا او مقدر سلفا ، يعني القضاء والتنفيذ.

الكون ككل ، يكون معلوما لدى الله وتشمل معرفته كل الفضاء والزمن. كل شيء موجود في علمه ويعين الى كل شيء معين عمر ووظيفة او مهمة ، وصفات محددة.

أنظر إلى المماثلة التالية: لدى المؤلفين معرفة شاملة ودقيقة بالكتب التي سيكتبونها ، ويرتبوا محتوياتها قبل كتابتها يكون القدر في هذا المعنى مطابق تقريبا للمعرفة الإلهية أو مسميا له. يدعى أيضا اللوح المحفوظ (أو "الإمام المبين"). ويعني القدر أيضا ان الله تعالى يفعل أي شيء وفقا لتدابير معينة ومحددة وبتوازن دقيق.

" الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)" الرحمن (٩) "اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) "الرعد:٨

إن التدبير والتوازن الدقيقة للكون والنظام والتجانس إضافة الى كل ما يحتويه ، توضح توضيحا جليا بأن الله تعالى يحدد ويدبر ويخلق ويحكم كل شيء . لذا فالمشيئة الإلهية موجودة. هذه التأكيدات مثل الحتمية ، وقد أيدها العديدون بمن فيهم بعض الماركسيين ، وتوضيح هذا النظام الكوني البين والادارة انما هو اعتراف ضمني بالقدر.

لكن يجب ان نوضح نقطة واحدة هنا: وفقا للإسلام ، فإن الحتمية المطلقة لا يمكن استخدامها في سياق الفعل الإنساني.

إن للبذور كلها اشكالا موزونة ومتناسقة ونظام الكون رائع ومنسجم (حيث استمر مليارات السنين بدون اعاقة او انحراف) يبرهن على ان أي شيء يحدث وفقا لحكم الله تعالى المطلق. إن أي بذرة او بيضة انثى عبارة عن حالة شكلتها القدرة الإلهية حيث ادخلت فيها القدرة الالهية تاريخ مستقبل حياة هذه الكائنات إضافة للمبادئ التي تحكم حياتها حيث تكون مسجلة مسبقا في البذرة او البيضة المخصبة باعتبارها عوامل وعمليات تحديد.

لقد شُكلت النباتات والكائنات الحية من مواد أساسية واحدة ، ومع ذلك فهنالك اختلاف غير محدود تقريبا بين الانواع والافراد. تنمو النباتات والكائنات الحية من نفس عناصر التشكيل الاساسية وتُظهر انسجاما وتناسبا كبيرين. وحتى الآن هنالك مثل هذا التنوع الغني الذي يجبرنا على ان نقرر ان كل كائن يتلقى شكل وقدر محددين.

هذان الشكلان والقدران المحددين يقررهما القدر الإلهي.

الإمام والكتاب المبين:

مثال: عن قدر ظهور بذرة يتم بطريقتين: مما يبرهن الإمام المبين ويوضح الكتاب المبين. إن الإمام المبين هو تسمية أخرى للمعرفة والامر الالهي، وتشمل كل الاشياء والاحداث في الكون. وهو أن أي شيء او حدث موجود مسبقا لدى المعرفة الالهية. وعندما يحين وقت قدومهم للعالم أو عندما تحضرهم إرادة الله للعالم فسيكسيهم عندها حياة الوجود.

يشير الإمام المبين الى هذا ، تحوي البذرة مستقبل حياة النبات الذي سينمو منهاوتنتهي حياة النبات ايضا الى بذور ، كل منهما قد يعتبر بمثابة ذاكرة للنبات. وتكون النباتات الجديدة التي ستنمو من هذه البذور مطابقة تقريبا للنبات الاصل ، لأن لا احد منها لديه روح واعية وهبة إرادة حرة. بجانب أنها تخدم كمماثلة للإمام المبين والقدر والمعرفة الإلهية ، تدل الحبوب ايضا على اللوح المحفوظ وتوافق ذاكرة الإنسان في مملكته إضافة لذلك ، ولان البذرة تدل على ان تواريخ حياة المخلوقات مسجلة ، فهي تشير ايضا الى ما بعد الحياة.

ان الكتاب المبين هو تسمية أخرى للارادة الالهية وقوانين الله الخلاقة والتشغيلية للكون. اذا اشرنا الى الامام المبين باعتباره قدر رسمي او نظري ، فيمكننا ان نشير الى الكتاب المبين باعتباره قدرا فعليا. ان شكل النمو الكامل المستقبلي للنبات او الكائن الحي الذي يوضح كل محتويات البذرة او البيضة المخصبة يمكن ان يفهم على انه قدرا فعليا.

وباختصار ، يشير أي كأئن حي ، مثل البذور او النباتات او البيض المخصب إلى القدر الإلهي والتحديد والحكم ، اضافة للتدبير والتخصيص والتمييز ، إن الاحلام الحقيقية التي تخبرنا باحداث مستقبل حقيقة هي مؤشر آخر لا ينكر على القدر أو التحديد الإلهي المسبق.

سؤال: لماذا الإيمان بالقدر هو واحدا من أساسيات الإيمان؟

الإجابة: يقودنا غرورنا وضعف عبادتنا لأن نعزو انجازاتنا واعمالنا الحسنة لانفسنا ونشعر بالفخر من ذاتنا. لكن ينص القرآن بوضوح (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) (الصافات: ٩٦)يعني ذلك ان الرحمة الإلهية تتطلب أعمالا حسنة وهي التي توجدها قدرة المولى عز وجل . إذا اجرينا تحليلا لحياتنا نلاحظ اخيرا ونعتر ان الله يوجهنا نحو الافعال الحسنة ويمنعنا دائما من فعل الشيء الخاطيء.

إضافة إلى انه وهبنا قدرة وقوة ووسائل كافية لانجاز عدد من الاشياء ، فقد مكننا الله من ان نلاحظ العديد من الانجازات والاعمال الحسنة. ومثلما وجهنا الله الى الاعمال الحسنة وسببنا الى الارادة ومن ثم فعلها ن فان السبب الحقيقي لاعمالنا الحسنة هو الارادة الالهية. يمكن ان نملك أعمالنا الحسنة فقط بالايمان والعبادة الحقة والصلاة لنكون مستحقين لها ، والتصديق الواعي بالحوجة لفعلها ، وان نكون سعداء بقضاء الله . اذا اعطينا هذا ، فليس هنالك سببا كافيا لكي نتباهى او نتفاخر ، لكن بالاحرى ن يجب ان نظل متواضعين وشاكرين لله.

من الجانب الاخر، فاننا نحب ان ننكر مسئولية خطايانا واثامنا وذلك بإرجاعها الى القدر لكن ومنذ ان كان الله لا يحب هذه الاعمال ولا يوافق عليها ، فهي جميعا تخصنا وارتكبتها افعال ارادتنا الحرة. يسمح الله بالخطايا ويمنحها اشكالا خارجية ، فاذا كانت بغير ارادتنا ن فستكون عبثية. ان الخطايا هي نتيجة قرارنا ، عبر ارادتنا الحرة للخطيئة.

يدعونا الله ويوجهنا الى الاعمال الحسنة ، حتى الهامه لنا بها ، ولكن عبر ارادتنا الحرة للخطيئة عبر التوبة وطلب المغفرة لها . اضافة لذلك ، يجب ان نوجه انفسنا ونعظمها لفعل الاعمال الحسنة ، بالصلاة والعبادة والثقة في الله.

بإختصار ، لأن لدينا إرادة حرة وفرض علينا اتباع الالتزامات الدينية والامتناع عن الخطيئة والاعمال السيئة ، لايمكننا ان نرجع خطايانا إلى الله . إن القدر الإلهي موجود ، لذا لا يفتخر المؤمنين بأعمالهم الحسنة لكن بالأحرى يشكرون الله عليها. لدينا إرادة حرة ، لذا فإن شهوات المعصية عواقب خطاياها.

ثانيا: نقطة مهمة وهي أننا دائما ما نتذمر من أحداث ومصائب الماضي. والاسوأ ، هو أننا في بعض الاحيان نيأس ونترك انفسنا لنمط حياة فاجرة ، وقد نبدأ حتى بالتمر من الله. ومع ذلك، يسمح لنا القدر بنسب احداث ومصائب الماضي اليه ، لذلك يمكننا تلقي الفرج والطمأنينة والسلوى.

إن كل ما حصل في الماضي يؤخذ في الاعتبار على ضوء القدر ، وماهو قادم ، مثل الخطايا وأسئلة المسئولية ، يجب أن نحيلها الى ارادة الانسان الحرة . بهذه الطريقة ، فإن النقيضين القضاء والقدر ونكران دور القدر في افعال الانسان (رأي المعتزلة) يتوافقان.

القضاء والقدر:

في العلاقة بالعلم الإلهي ، يكون الله وراء كل مقدرتنا على المقارنة والتصور تماما ، لذلك يمكننا فقط اكتساب بعض المعرفة لخصائصه واسمائه ، وليس ماهيته الالهية ، وذلك عبر التأمل في اعماله وكائناته ودراستها. ولفهم اعماله ، نلجأ في بعض الاحيان للمقارنات كما سمح به في الآية القرآنية (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ٢٧ الروم

قد نحظى بلمحة للعلاقة بين القضاء والقدر والمعرفة الالهية وذلك بالتفكر في المقارنات التالية:

أفترض رجلا ماهرا جدا ، مهندس ومعماري وبناء ، يريد بناء منزل فخم . اولا ، يجب عليه تحديد أي نوع منزل يريد بناءه (المنزل موجود في عقله) . ثم يرسم مخططا

(يوجد المنزل كتصميم حقيقي أو خطة). بعد ذلك ، يبني المنزل وفقاً للمخطط (يكتسب المنزل وجودا ماديا). ولأن الناس بإمكانهم رؤية المنزل ، تسجل صورته في عدد كبير من الذواكر. وحتى لو تحطم المنزل كليا ، سيبقى في هذه الذواكر وفي عقل البناء وخطته (يكون الشكل النهائي للمنزل موجودا حيث يكتسب نوعا من الخلود).

قبل الشروع في كتابة كتاب ، يجب على المؤلفة ان يكون لديها محتواه الكامل أو معرفة بمعناه الكامل في عقلها (يوجد الكتاب كمعرفة أو معنى). ولجعل هذه المعرفة او المعنى مرئية ومعروفة ، يجب ان تعبر عنها بالكلمات وقبل فعل هذا ، يجب عليها ان تنظمها (مخطط) ، ومن ثم تدونها (وجود مادي). وحتى لو تدمر الكتاب أو اختفى ، فسيظل باقيا في ذواكر هؤلاء الذين قرأوه أو سمعوا به ، وفي عقل المؤلفة.

هذا الوجود – الموجود في ذهن – هو وجود لماهية الشيء . وحتى لو كان الشيء موضع السؤال يم يدون او يطبق ، فستوجد معرفته او معناه في العقل. لذا ، ورغم ان المعرفة والمعنى تحتاجان لطريقة كي ترى او تعرف في هذا العالم ، تكون ماهية الوجود ، حيث يعتمد عليها الوجود المادي.

كذلك لدى الله معرفة كاملة ودقيقة عن الكون بكل محتوياته. و**قد ذكر القرآن الكريم هذا عدة مرات مثال:**

الآية ٢١٦ {) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) } سورة البقرة (٢١٦)

{قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) }

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)} (٥٩) الأنعام {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)} الكهف(١٠٩)

حتى لو ان الله لم يخلق الكون ، سيظل موجودا في علمه. ومنذ ان كان الله وراء كل الزمن والفضاء ، وكلاهما متحدان في علمه كنقطة واحدة ، ومنذ ابديته وعلمه الشامل لا يعتمد عليها ، فان الزمن كله موحد فإذا اعطينا هذا ، فان اسبقيته ولاحقيته او تقسيم الزمن وكافة المفاهيم الاخرى المتعلقة بالزمن لا توجد له . يجب ان نتذكر دائما بان فئات زماننا ، الماضي والحاضر والمستقبل هي مجرد فئات اصطناعية صممت لجعل حياتنا أكثر قابلية للتحكم. إن الزمن والفضاء هما أيضا مجرد إتجاهين للخلق.

يعني ذلك ان الرحمة الإلهية تتطلب أعمالا حسنة وهي التي توجدها قدرة المولى عز وجل. إذا اجرينا تحليلا لحياتنا نلاحظ اخيرا ونعترف ان الله يوجهنا نحو الافعال الحسنة ويمنعنا دائما من فعل الشيء الخاطئ.

اضافة إلى انه وهبنا قدرة وقوة ووسائل كافية لإنجاز عدد من الأشياء ، فقد مكننا الله من ان نلاحظ العديد من الانجازات والاعمال الحسنة. ومثلما وجهنا الله إلى الاعمال الحسنة وسببنا الى الارادة ومن ثم فعلها ، فان السبب الحقيقي لاعمالنا الحسنة هو الارادة الإلهية. يمكن ان نملك أعمالنا الحسنة فقط بالإيمان والعبادة الحقة والصلاة لنكون مستحقين لها ، والتصديق الواعي بالحاجة لفعلها ، وان نكون سعداء بقضاء الله. إذا اعطينا هذا ، فليس هنالك سببا كافيا لكي نتباهى أو نفتخر ، لكن بالأحرى ، يجب ان نظل متواضعين وشاكرين لله.

من الجانب الآخر ، فإننا نحب ان ننكر مسئولية خطايانا وآثامنا وذلك بإرجاعها الى القدر. لكن ومنذ ان كان الله لا يحب هذه الأعمال ولا يوافق عليها ، فهي جميعا تخصنا وارتكتبها افعال ارادتنا الحرة. يسمح الله بالخطايا ويمنحها اشكالا خارجية ، فإذا كانت بغير ارادتنا ، فستكون عبثية. إن الخطايا هي نتيجة قرارانا ، عبر إرادتنا الحرة للخطيئة.

يدعونا الله ويوجهنا الى الاعمال الحسنة ، حتى الهامه لهنا بها ، ولكن تمكننا الارادة الحرة من معصية الخالق. لذا ، فإننا نمتلك خطايانا وآثامنا . ولحماية انفسنا من الخطيئة وغواية ابليس والنفس الشريرة ، يجب علينا ان نكافح لازالة اهواءنا او ضبطها تجاه الخطيئة عبر التوبة وطلب المغفرة لها. اضافة لذلك ، يجب ان نوجه انفسنا ونعظها لفعل الاعمال الحسنة ، بالصلاة والعبادة والثقة في الله.

بإختصار ، لأن لدينا إرادة حرة وفرض علينا إتباع الإلتزامات الدينية والامتناع عن الخطيئة والأعمال السيئة ، لا يمكننا ان نرجع خطايانا على الله. إن القدر الإلهي موجود ، لذا لا يفتخر المؤمنين باعمالهم الحسنة ولكن بالأحرى يشكرون الله عليها. لدينا إرادة حرة ، لذا فإن شهوات المعصية لا تخلص عواقب خطاياها.

ثانيا: نقطة مهمة وهي أننا دائما ما نتذمر من احداث ومصائب الماضي. والأسوا ، هو أننا في بعض الأحيان نيأس ونترك انفسنا لنمط حياة فاجرة ، وقد نبدأ حتى بالتذمر من الله. ومع ذلك ، يسمح لنا القدر بنسب احداث ومصائب الماضي اليه ، لذلك يمننا تلقى الفرج والطمأنينة والسلوى.

يوجد أي شيء أبديا في علم الله ، وهو يعرف حرفيا أي شيء عن أي شيء. تكسو القدرة الإلهية الشيء وجودا ماديا وفقا للإرادة الإلهية ، وهذا التحول من العلم الى عالمنا يحدث في زمان وفضاء محدودين. إن العلم والإرادة هما خاصيتان جوهرتان للكائن الإلهي: يعرف الله الاشياء ، وتوجد الاشياء في علمه ، وتحدد إرادته كل خصائصهما المحددة

والعامة ، وتمنح قدرته لهما وجودا ماديا . ان العلاقة العامة بين العلم الإلهي والقدر معبر عنها جيدا بالآية:

" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١) "الحجر ٢١

وفيما يتعلق بالسجل والنسخ فإن أي شيء موجود في العلم الإلهي له شكل فردي ومقياس محدد ، أو إذا ما قلنا كذلك ، مثال خطة أو مشروع يكون في السجل ، يسمى هذا السجل ، في احدى السياقات ، اللوح المحفوظ " فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢) (البروج : ٢٢). وفي الآخر الإمام المبين " إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) "(يس:١٢)

ينص القرآن " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) " (التوبة:٥١)

" وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦) " (الانعام:٣٨)

هذا السجل (او السجل الاصلي) هو تسمية للعلم الإلهي فيما يتعلق بالخلق. ونسخ هذا الملف أثناء عملية الخلق أولا ، وهو النسخ الأكثر شمولية –كل الخلق– في لوح المحو والبرهان (او الكتاب المبين) بينما اللوح المحفوظ يحوي اصل كل الاشياء في العلم الإلهي اضافة الى مبادئ وقوانين الخلق. إن لوح المحو والبرهان لهو حقيقة ومجازا ، صفحة من تيار الزمن. تحول القدرة الإلهية الاشياء من اللوح المحفوظ الى لوح المحو والبرهان. وتنظمهم في صفحة الحياة ، وبدوره ، يلحقهم في سلسلة الاحياة. لا شيء يتغير في اللوح المحفوظ ، وكل شيء هناك يكون ثابتا ، لكن يمحو الله ما يريده اثناء عملية الخلق ، ويثبت ويقيم ما يريد:

" يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)" (الرعد: ٣٩)

يسجل أي شخص بعد الميلاد في سجل المواليد . ثم ، إستنادا على هذه المعلومة ، يستلم أي شخص وثيقة هوية. وبالمثل ، تسجل السمات الشخصية لأي شخص وخصوصياته وتاريخ مستقبل حياته في اللوح المحفوظ ، حيث تنسخها الملائكة بعد ذلك يسجلون كل المعلومات المتعلقة بجسد الشخص ، وترمز في الخلايا مثل معلومات أو قوانين . لهذه المعلومات ان تعمل او تأتي للحياة ، لكن يجب ان تنفث الروح في الجسد.

إن الجزء الآخر لهذا النسخ يكون مقيدا حول اعناقنا مثل كتاب غير مرئي:

" وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) " (الإسرا: ١٣)

نمثل ما هو مكتوب في ذلك الكتاب طالما كنا على قيد الحياة. وهذا لا يعني بأن القدر أو التحديد المسبق يجبرانا على العمل بطريقة محددة . فالقدر ليس الإ نوعاً من العلم لا أكثر. مثال لذلك ، ترسل شخصا ما إلى مكان ما لأداء وظيفة. وبعد الحصول على التجهيزات الضرورية، ترشد الشخص وترسله على طريقه. ومنذ أن كنت تعرف مقدما كيف سيتصرف ، تسجل تفاصيل الرحلة في مفكرة وتخبئها داخل جيب سري في معطفه. وغير مدرك هو بالفكرة ، فإن هذه التصرفات تشابه رغباته وهو يتجول . وتوفد ايضا رجلان من الأكثر ثقة لديك لمتابعته كي يلاحظوا ويصوروا سرا كل ما يقوله ويفعله.وعندما يعود ، تقارن التصوير بالمفكرة وترى ما إذا كانا شيئا واحدا. بعدئذ ، تجري معه مقابلة لترى إذا ما اتبع تعليماتك ، تكافئه او تعاقبه أو تسامحه وفقا لذلك.

وكما هو موضح في المثال أعلاه ، فإن الله الذي هو وراء كل الزمان والفضاء ولديه علم شامل يسجل تاريخ حياتنا في السجل الاصلي . تنسخ الملائكة هذه المعلومات وتوثق سجلا شخصيا، حيث نسميه قدرا او مصيرا ، حول عنق أي شخص. إن العلم المسبق الظاهر لله وتسجيل أعمالنا وكلماتنا لا يجبرنا على تنفيذه ، وايا كان ما نقوله او نفعله

نتيجة لاستخدام ارادتنا الحرة.[1] يسجل ملكان حياتنا كاملة (رقيب وعتيد). يحضر الينا سجلنا يوم الحساب ويطلب منا قراءته:

" وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون (١٣) وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيهو لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" (النحل:١٤)

وفيما يتعلق بالإرادة الإلهية . يسجل الله أي شيء في علمه في سجل يحتوي على السمات المميزة لأي شيء تقسيم إمتداد الحياة ن وزمان ومكان الميلاد والوفاة وكل كلماته وافعاله. يحدث كل ذلك بالإرادة الإلهية، لانه من خلها ، أي شيء او حدث سواء كان في مملكة العلم الإلهي او الدنيا ، يكون معلوما ويمنح مسارا او اتجاها محددا لاشيء يوجد وراء الارادة الإلهية.

مثال لذلك ، يواجه الجنين عددا لايحصى من الخيارات ، إذا ما سيكون كائنا حيا ، سيحيا أم لا ، متى وأين سيولد وسيموت ، وكم من الزمن سيحيا ، اذكر هنا القليل فقط. كل الكائنات فريدة من نوعها تماما في البشرة والملامح والسمات في الحب والكراهية وهلم جرا . . . ، على الرغم من انهم شكلوا من نفس العناصر الأساسية . تدخل قطعة طعام جسما ما ، سوا كان جنينا او شخصا مكتمل النمو ، وتواجه أيضا عددا لا يحصى من الخيارات بالنسبة لوجهتها الأخيرة . إذا أعد جسيما واحدا لبؤبؤ العين اليمنى وكانت لتذهب إلى الأذن اليمنى فقد ينتج عن هذا وضعا شاذا.

بالتالي ، تنظم الإرادة الإلهية الشاملة أي شيء إستنادا إلى خطة مدروسة بإعجاز ، وهي مسئولة كذلك عن نظام وتناسق الكون الإعجازي . لا تسقط ورقة شجر أو تنبت بذرة مالم تقم إرادة الله بذلك.

[1] هذا التسجيل القبلي واضح ، لأن زمن الماضي والمستقبل متعلق فقط بالجنس البشري . وهم لا يستطعيون ان يطبقوه على الله . وكما يقول الله تعالى كل شيء في وقت واحد ، ليس هناك أشياء مثل "مسبق" أو "قبل" عند الحديث عنه.

إن إرادتنا الحرة متضمنة في الإراداة الإلهية . فعلاقتنا بالإرادة الإلهية تختلف عن التي لدى الكائنات الأخرى ، يمكننا فقط نحن والجن ان نختار عواقب الإرادة الحرة . يسجل الله تعالى ، مستندا الى علمه كيف نفعل ونتكلم ، وكل تفاصيل حياتنا. وبكونه ليس مقيدا على الإنسان البناء الإصطناعي ، تقسيم الزمن إلى ماضي وحاضر ومستقبل ، وما نعتبره تحديدا مسبقا يوجد فيما يتعلق بنا وليس بالله نفسه. يعني التحديد المسبق بالنسبة لله ، علمه الأبدي بأعمالنا [٢]

بإختصار ، تهيمن الإرادة الإلهية على الخلق ، لا يمكن لشيء أن يوجد وراء مجاله. وهو مسئول ايضا عن نظام الكون الإعجازي وتناسقه ، ويهب أي شيء او حدث اتجاه وسمات محددة ان وجود الارادة الالهية لا يلغي إرادة الإنسان الحرة.

فيما يتعلق بالخلق. هنالك جانبان للعلاقة بين القضاء والقدر والخلق. أولا ، كعامل تحديدي وقسري ، يهمين القدر كليا على أي مكان ، ما عدا في الحياة الدنيا حيث للإرادة الحرة دورا. يحدث أي شيء وفقا لتدبيره وتحديده وحكمه وتوجيهه. إن الله هو المالك المطلق للسيادة وبالتالي يفعل ما يريد. لا يستطيع احد دعوته لحساب اعماله. فكونه منصف وحكيم ورحمن ورحيم تماما ، فهو يفعل ما هو جيد فقط ولا يظلم مخلوقاته.

لا يمكن لنا ان نتدخل مع عمليات الكون. ترسل الشمس دائما الحرارة والضوء باستقلال عنا ، وتدور الأرض في محورها وحول الشمس ، وتمر الأيام والشهور ، وتأتي الفصول والسنين وتمضي ، ولا نملك سيطرة على الطبيعة. هنالك حالات لا تعد للحكمة في أعمال الله ، وجميعها لمصلحتنا . لذا يجب ان ندرس ونفكر مليا في اعماله لنكتشف حكمته:

[٢] لا يقبل الإسلام مفهوم المؤمن عن الله ، اعنى انه خلق الكون وتركه يدير نفسه . نحن مشمولين في الزمان والفضاء ولذلك نكون محدودين بالطرق التالية: لا يمكننا ان ندرك بالضبط الاستنتاجات الصحيحة عن العلاقة بين الخالق والخلق ، لا يمكننا فهم الخلود ولدينا معلومات صحيحة قليلا عن هذا العالم . إن الله وراء كل الزمان والفضاء مطلق وخالد. ويحمل الكون في "يده" ويسيطر عليه ويديره كما يريد. مع ذلك ، قد نحظى بلمحة لافعاله ونكتسب بعض العلم عنه وعن خصائصه ، ويسمح لهؤلاء من مظاهره المعلقة بالخلق ان تكون محدودة بالزمان والفضاء.
وإذا لم يفعل ، لن توجد الحياة ولن يمكننا إكتساب علم عنه وعن الكون . لذلك ، إن ما قلناه عن إرادته وقدره يجب أن يجئ على ضوء حقيقة أنه يمكن لنا أن نتحدث عن هذه المسائل فقط من ضمن حدود الحياة (محدودة بالزمان والفضاء والجوهر) ووجودها.

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩١)" (آل عمران ٩١)

يجب أن نفكر مليا فيما يحدث لنا. لا يرغب الله أبدا الشر لمخلوقاته. " مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)" النساء ٧٩. وبعبارات أخرى ، إن خطايانا هي المنبع لمصائبنا.

يسمح الله للمصائب ان تصيبنا لكي تغفر خطايانا او كي نرتقى لمراتب عليا. لكن هذا لا يعني أن الله ، ولسبب غير معروف الا له ، يهمل في بعض الاحيان خطايانا ولا يعاقبنا بها.

يهتم الجانب الثاني لهذه العلاقة بالأوامر والمحظورات الدينية ، حيث تتعلق بإرادة الإنسان الحرة . فبينما يهيمن القدر الإلهي كليا على المجالات التي لا يكون لإرادتنا الحرة فيها دورا (مثال: خلق الله لكل الاشياء والكائنات والسيطرة عليها إضافة إلى الاجسام الحية والجماد ، وحركة الكواكب وكل الأحداث والظواهر الطبيعية) ، فهي تأخذ إرادتنا الحرة في الإعتبار . يخلق الله كل الاشياء والأحداث ، بما فيها كل أعمالنا لأنه يكرمنا بإرادة حرة وبمسكن مقدر وأبدي لأجلنا. ورغم أنه يرغب في أن نفعل دائما ما هو خير ويدعونا بإصرار له ، فهو لا يمتنع عن منح وجود حسي ابدي لاختياراتنا السيئة وأفعالنا الآثمة ، لكنه يكون غاضب منا.

القدر وإرادة الإنسان الحرة:

إن إرادة الإنسان الحرة موجودة لأنه:

- إننا نشعر بالندم عندما نرتكب خطأ ما. ونتضرع إلى الله ليغفر خطايانا. وعندما نزعج شخصا ما أو نؤذيه ، فإننا نسأل ذلك الشخص ليجد لنا العذر . توضح هذه

الافعال بأننا نختار ان نعمل بطريقة محددة . فإذا لم نستطع إختيار أفعالنا وأجبرتنا قوة عليا على فعلها ، فلماذا نشعر بالندم ونطلب المغفرة لكل شيء؟

- نحن نختار ان نحرك ايدينا ، ونتكلم ، او نقف لنذهب على مكان ما ونقرر أن نقرأ كتابا ، ونشاهد التلفاز ، او نصلي لله . نحن لسنا مجبرين على فعل أي شيء ، ولا أن تسيطر علينا بطريقة أو بأخرى عن بعد ، قوة عليا خفية.
- نحن نتردد ، ونفكر ، ونقارن ، ونقيم ، ونختار ، ومن ثم نقرر فعل الشيء. مثلا ، إذا دعانا أصدقاءنا للذهاب لمكان ما أو فعل شيئا ، نذهب أولا عبر هذه العملية العقلية ثم نقرر ما إذا كنا سنرافقهم أم لا. ونكرر هذه العملية بالذات ربما مائة مرة في اليوم.
- عندما نكون مظلومين ، نقاضي أحيانا من ظلمنا . ولا تنسب المحكمة هذا الظلم المرتكب الى قوة عليا قسرية مثل القدر، ولا نحن كذلك. ولا يعذر المتهم نفسه باللجوء إلى لوم تلك القوة. إن الناس عفيفين وسيئين، والذين ارتقوا لمراتب اجتماعية عليا والذين ضيعوا اوقاتهم سدى ، والذين كوفئوا على افعالهم الجيدة او نجاحهم والذين عوقبوا على جرائمهم ، يبرهن كل هذا أن لدى كل منا إرادة حرة.
- إن المجنون قد لا يتحمل وزر افعاله . إن الادراك الإنساني والقدرات العقلية الأخرى تتطلب منا أن نقرر ونفعل بحرية ، وتبرهن النتائج المنظورة في حياتنا حقيقة هذا الجزم. وبدون الإرادة الحرة ، يصبح الإدراك الإنساني والقدرات الأخرى عديمة المعنى.
- لا تملك الحشرات قوة إرادة ، لذا فهي تعمل تحت ظل توجيه الله ("الحشرة" وفقا للعلوم المادية) مثلا ، يبني النحل دائما خلايا مسدسة الاضلاع. ومنذ ان كان لا يملك قوة ، لم يحدث حتى ان حاول بناء خلايا مثلثة الاضلاع او عشا. لكننا ننظر خيارات عديدة قبل الفعل والكلام . نحن أيضا احرار في تغيير افكارنا ،

الذي نفعله هو مواجهة حالات الطوارئ او المستجدات ، مقترحات افضل ، يشير هذا ايضا لإرادتنا الحرة.

طبيعة إرادتنا الحرة . إن إرادتنا الحرة ليست مرئية ولا تملك وجودا . ومع ذلك ، لا تسلم مثل هذه العوامل بإستحالة وجودها. لكل شخص عينان (ماديتان) ، لكن يمكننا ايضا أن نرى بعيننا (الروحية) الثالثة. نستخدم الأولى لرؤية الأشياء في هذا العالم ، بينما نستخدم الأخيرة لنرى الأشياء وراء الأحداث في هذا العالم. إن ارادتنا الحرة لهي شبيهة بهذه العين الثالثة، حيث قد تستدعي البصيرة. إنها ميل أو قوة داخلية بها نفضل ونقرر.

نحن نريد والله يخلق. إن مشروعا ما او خطة مبني ليست لها قيمة او استخدام مالم تبدأ في تشييد المبنى وفقا لها ، لذلك يصبح مرئيا ويخدم عدة أغراض. تشابه إرادتنا الحرة تلك الخطة لأننا نقرر ونفعل وفقا لها، ويخلق الله افعالنا نتيجة لقراراتنا. إن الخلق والفعل شيئان مختلفان. خلق الله يعني انه يهب وجودا واقعيا لخياراتنا وافعالنا في هذا العالم . وبدون خلق الله ، لا يمكننا أن نفعل.

لكي ننير قصرا فخما، يجب علينا أن نركب نظاما للإضاءة ، ومع ذلك لن يضاء القصر الى ان ننقر على مفتاح كهربائي يشغل الاضواء. والى حين فعل ذلك سيظل القصر مظلما ، وبالمثل أي رجل او امراة هو قصرا فخما لله . إن الإيمان بالله هو الذي ينيرنا ، وهو الذي أمدنا بنظام الإضاءة الضروري : الذكاء ، الإدراك ، والإحساس ، والمقدرة على التعلم ، والمقارنة ، والتفضيل.

إن الطبيعة والأحداث إضافية إلى الأديان السماوية الإلهية هي مثل مصدر الكهرباء التي تنير هذا القصر الإلهي للفرد الإنساني. فإذا لم نستخدم إرادتنا الحرة لننقر على مفتاح الكهرباء بأي طريقة ، فسنظل في الظلام. إن تشغيل الإضاءة يعني تقديم التماس إلى الله لينيرنا بالإيمان. في وسيلة تليق بالخادم عند الباب الرئيسي، يجب ان نتوسل سيد الكون لينيرنا ويجعلنا " ملوكا" او" ملكات" في

الكون. وعندما نفعل ذلك ، يعاملنا سيد الكون بطريقة تليق به ، ويرقينا إلى مرتبة الملكية على سائر مملكات الخلق.

يأخذ الله ارادتنا الحرة في الاعتبار عند تعامله معنا ومع أعمالنا . لذلك لسنا ضحايا القدر ابدا او مظلومين من المصير . ومع ذلك تكون ضآلة إرادتنا الحرة عندما نقارنها مع أفعال الله الخلاقة ، فهو لا يزال سبب أعمالنا. يجعل الله الاشياء الكبيرة تخرج من الجزيئات الصغيرة، ويخلق العديد النتائج المهمة من معان بسيطة مثلا، يجعل شجرة صنوبر ضخمة من بذرة صغيرة ، ويستخدم ميولنا وإختيارنا الحر ليجهز لنا سعادة ابدية او عقاب.

لفهم افضل لدورنا ، ودور قوة إرادتنا في افعالنا وانجازاتنا، تأمل في الطعام الذي نستهلكه ، فبدون التربة والماء والهواء وحرارة الشمس، ايا منهما لا يمكننا انتاجه او خلقه رغم تقنياتنا الحديثة، لن يكون لدينا أي طعام . لا مكننا انتاج حتى بذرة الذرة. نحن لم نخلق اجسادنا ، ولا نستطيع التحكم في جزء واحد أو انشاء علاقته بالطعام.

مثلا ، إذا وجب علينا ضبط قلبنا مثل الساعة في وقت ثابت كل صباح ، فإلى متى سيظل حيا؟

وعلى نحو جلي ، فإن كل اجزاء الكون المعقدة والمنسجمة كاملة ، وهي البنية الاكثر تطورا ، تعمل معا وفقا لمعايير هي الأكثر دقة لتنتج مضغة طعام ، لذا فإن قيمة تلك المضغة بقدر قيمة الكون ككل تقريبا. كيف يمكننا ان ندفع كل ما في الامكان لهذه القيمة ، عندما يكون دورنا في إنتاج هذه المضغة متواضع تماماً ، يتكون ليس أكثر من جهدنا الخاص؟

هل يمكننا ابدا ان نشكر الله بالقدر الكافي حتى لمغضة طعام؟ إذا عرضت علينا فقط صورة عنب فهل يمكننا جميعا ان نعمل معا وننتجها ؟ لا . يغذينا الله بهتبه ويسألنا بالمقابل القليل. إذا قال أن ننجز الف ركعة صلاة من أجل مكيال قمح،

فيجب ان نفعل ذلك . إذا ارسل قطرة بالمقابل لركعة واحدة ، فيجب علينا ن ننفق حياتنا بالكامل صلاة. لو تركت في حرارة صحراء حارقة ، فهل لن تمنح أي شيء من أجل كوب واحد من الماء؟ كيف يمكننا أن نشكره بالقدر الكافي عن كل عضو جسدي؟ عندما نرى الناس المرضى او المقعدين في المستشفى ، او عندما نكون أنفسنا مرضى فسنعرف كم هي قيمة العافية.

لكن هل يمكننا أن ابداء شكره بالقدر الكافي على هذه النعمة؟ إن عبادة الله تعالى تأمرنا بأدائها وفي الحقيقة ، لمصلحتنا الخاصة وطهارة روحنا، وايضا لشخصية جيدة وحياة مشتركة. علاوة على ذلك ، لو آمنا بعبادة الله ، فسيجازينا بسعادة لا نهائية ونعيم في الجنة.

بإختصار ، أي شيء تقريبا لدينا منحناه للاشيء عمليا ، ودورنا في الهبة التي نستمتع بها هنا متواضع للغاية. وبالمثل ، فإن إرادتنا الحرة على حد سواء متواضعة عند مقارنتها مع ما يخلقه الله تعالى من إستخدامنا لها. على الرغم من ضعف إرادتنا الحرة وقصورنا الذاتي لنفهم حقا طبيعتها الصحيحة ، يخلق الله افعالنا وفقا للاختيارات والقرارات التي نتخذها من خلالها.

القدر الإلهي ينسجم مع إرادة الانسان الحرة:

حاول الناس طوال التاريخ أن يميزوا أو يوفقوا بين الإرادة الإلهية وإرادة الإنسان الحرة. بعضهم أنكر الارادة الحرة، بينما ادعى آخرون آننا نخلق أعمالنا وبهذا انكروا القدر . ومع ذلك وبما ان الاسلام هو طريقا وسطا في كل شيء فقد نشر ان القدر الإلهي يهيمن على الوجود بما فيه ممكلة الإنسان ، يمكننا أن نستخدم إرادتنا الحرة لتوجيهه.

لقد عبر القرآن عن الطبيعة الصحيحة لهذه العلاقة بما يلي" إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

(٢٩) (التكوير:٢٩) تنسب هذه الآيات إرادة مطلقة لله تعالى ولكنها لا تنكر إرادة الانسان الحرة. ونقرأ في آية أخرى "والله خلقكم وما تعملون" (الصافات: ٩٦)

تتحدث آيات أخرى عن عهدا بيننا وبين الله ، وتعلن بكل صراحة بأننا نوجه التاريخ: " يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) " البقرة :٤٠ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)" (محمد:٧).

باستثناء الجنس البشري والجن ، كلاهما لديه إرادة حرة ويجب ان يحاسبوا على افعالهم . القدر الإلهي هو فقط العامل المسيطر تماما على الوجود. وللتوفيق بين القدر وإرادة الإنسان الحرة ، تأمل في التالي:

- إن القدر هو تسمية للعلم الإلهي . يشمل علم الله كل شيء ضمن ووراء الزمان والفضاء . إذا سمح لك علمك ان تعرف سلفا شيء محدد سيحدث في وقت محدد من المستقبل ، فإن " نبؤتك" ستأتي صحيحة. لكن هذا لا يعني بأن معرفتك المسبقة قد سببت حدوثه. ومنذ ان كان كل شيء وحدث مشمولا في علم الله ، فهو يسطر ما سيحدث في زمان ومكان معطيان ، وهو يفعل ذلك ، إن ما يكتبه الله وما نفعله نحن هما شيئا واحدا بالضبط ، ليس لأن الله يسطره ثم يجبرنا على ما فعله ، لكن لأننا نريده ومن ثم نفعله.

مثلا يسافر قطار بين اسطنبول وأنقرا. واضعين في الاعتبار سرعته ومميزاته ، وحالة السكة حديد، والمسافة بين المدينتين ، اضافة إلى عدد المحطات على طول الطريق وكم من الوقت سيمكث في كل منها ، يمكن ان يعد جدولاً زمنيا هل هذا الجدول الزمني هو سبب القطار كي يسافر؟

إن زمن وفترة الكسوف الشمسي والقمري يعرفان ويكتبان سلفا إستنادا الى حسابات فلكية. هل هذا العلم المسبق والسجل هما سببهما؟ بالطبع لا . منذ ان كان علماء الفلك يعلمون مسبقا متى سيحدث الكسوف ، ويقوموا بتسجيله. نفس العلاقة توجد بين القدر وإرادة الإنسان الحرة.

- إن إرادتنا الحرة مشمولة في القدر. مثلا ، يسالك شخصا ما إذا كانت الساعة التي في الغرفة المجاورة تعمل ام لا . انت تسمعها فترة بالإيجاب. لا يحتاج المستفهم ليسأل إذا كانت عقارب الساعة تتحرك. وبطريقة مشابهة، القدر وإرادة الإنسان الحرة ليستا متنافيتين . نحن نجفف الأوراق المتفتحة برياح القدر وليس بإستقلال عنه تمام.وبما ان الاسلام يسلك طريقا وسطا، فهو يوضح العلاقة الصحيحة بين القدر وارادتنا الحرة: نحن نريد ونفعل شيء ما ، والله يخلقه.
- في طريقة عرض القدر ، السبب والتاثير لا يمكن ان ينفصلا . وهذا هو ، انه مقدر ان ينتج هذا السبب ذلك التأثير . لكن لا يمكننا مجادلة أن قتل شخص ما يكون صحيحا لان الضحية مقدرا لها ان تموت في ذلك الزمان والمكان ، وستموت بأي طريقة حتى لو لم تصب. مثل هذا الجدال لا اساس له ، منذ ان كانت الضحية مقدرا لها ان تموت نتيجة إصابتها . إن الجدال حول ان الضحية كانت لتموت حتى بدون اصابتها سيعني ان هذا الموت كان لا معنى له. كيف يمكننا توضيح هذا الموت؟ تذكر انه لا يوجد نوعان من القدر ، واحدا للسبب والآخر للتاثير. إن القدر شيء واحد.
- يميل الناس إلى التخيل ، مانعين انفسهم من عبور الزمن ، حد الزمن الماضي يمتد عبر سلسلة محددة من الاشياء. يسمونها الأزل . لكن لسبب وفقا لهذه الفكرة غير مقبول. لفهم افضل لهذه النقطة الدقيقة ، تأمل في التالي:

- تخيل أنك تحمل مرآة في يدك. وأي شيء معكوسا على الجانب الأيمن يمثل الماضي ، بينما أي شيء معكوسا على الجانب الاسير يمثل المستقبل. ويمكن للمرآة ان تعكس فقط اتجاها واحدا. ومنذ ان كانت لا تستطيع عرض الجانبين مرة واحدة بينما انت تحملها. فإذا اردت ان ترى الاتجاهين معا، سيتعين عليك ان تصعد عاليا فوق وضعك الأصلي لذلك يتحد اليسار واليمين في اتجاه واحد ولا شيء يمكن ان يسمى اولا وأخيرا ، بداية ونهاية.

  يتطابق القدر الإلهي في بعض السياقات مع العلم الإلهي ويوصف في الحديث النبوي بإحتواء كل الزمان والاحداث مثل نقطة واحدة ، حيث الأول والآخر ، البداية والنهاية ما حدث وما سيحدث جميعهم متحدين في واحد . ومثل اننا سلنا مبعدين عنه ، فإن فهمنا للزمان والأحداث تصبح مثل المرآة للماضي[٣].

- نحن لا نخلق أفعالنا . وإذا كنا فعلا كذلك ، فيجب ان نكون ايضا سببنا النهائي. ووفقا للمنطق ، يوجد الشيء اذا كان لوجوده حوجة مائة بالمائة ، وجهزت كل الظروف الضرورية لوجوده. لذا ، ايا كان ما سيأتي للوجود لا بد أن يملك سببا حقيقا كاملا. لكن السبب الكامل قد يجعل وجود شيء ما الزاميا ، وهذا يعني انه لن يكون هناك مجالا للاختيار.
- مع ان رغبتنا الحرة لا تسبب شيئا للحدوث ، جعل الله تعالى عمليته ظرفا بسيطا لجلب إرادته الكونية إلى التأثير . فهو يستخدم إرادتنا الحرة ليوجهنا على اتجاهاتنا المختارة ، وكذلك نحن مسئولون عن افعالنا . إذا أجلست طفلتك على اكتافك ، وكان طلبها أن تاخذها خارجا ، وكان يمكن ان تصاب بالبرد؟ بالفعل ، قد تعاقبها حتى على طلبها . وبطريقة مشابهة ، الله تعالى

[٣] نحن مشمولين في نفس المرآة ، ولكننا واعين بالإثنين ، المرأة وما ينعكس فيها.

أكثر المنصفين حكما ، لا يجبر عباده على فعل شيء ، وكذلك جعل اراداته تعتمد على إرادة الإنسان الحرة.

يمكننا تلخيص النقاش حتى الآن في سبعة نقاط:

١. إن القدر الإلهي ن يسمى أيضا التحديد والترتيب الإلهي ، يهيمن على كل الكون لكن لا يلغي إرادتنا الحرة.
٢. منذ ان كان الله وراء الزمان والمكان وكل شيء مشمولا في علمه ، حيث يشمل الماضي ، والحاضر ، والمستقبل مثل نقطة واحدة غير منقسمة ومتحدة. مثلا : إذا كنت في غرفة ، فإن رؤيتك محدودة بتلك الغرفة. وإذا كنت تنظر من نقطة عالية ، يمكنك رؤية كامل المدينة. كلما ارتفعت عاليا، فان رؤيتك ستستمر بالاتساع. تظهر الارض عندما ينظر إليها من القمر مثل رخام ازرق صغير. إنه نفس الشيء مع الزمان.
٣. ومنذ ان كان الزمان والفضاء مشمولين في علم الله مثل نقطة واحدة . سجل الله أي شيء سيحدث حتى يوم الفصل. يستخدم الملائكة هذا السجل لتجهيز سجل أصغر لأي فرد.
٤. نحن لا نفعل شيئا لأن الله سجله ، يعرف الله سلفا ما سنفعلها ويسجله.
٥. لايوجد قدران: واحد للسبب ، والآخر للتأثير . القدر شيء واحد ويرتبط معا بالسبب والتأخير. إن إرادتنا الحرة التي تسبب أفعالنا ، مشمولة في القدر.
٦. يوجهنا الله نحو الأشياء والافعال الجيدة ويسمح لنا وينصحنا بإستخدام قوة الإرادة لما فيه خيرنا. وبالمقابل يعدنا بسعادة أبدية في الجنة.

٧. نحن نملك إرادة حرة ، رغم أننا نساهم بلا شيء تقريبا في أفعالنا الجيدة. إذا لم نستخدم إرادتنا الحرة إستخداما سليما ، يمكن لها أن تدمرنا. لذلك يجب ان نستخدمها لمنفعتنا عبر الصلاة لله . سيجعل هذا ممكنا بالنسبة لنا ان نستمتع بنعمة الجنة، ثمرة لسلسلة الأعمال الجيدة ، ونحصل على سعادة أبدية ، علاوة على ذلك ، يجب ان نطلب دوما مغفرة الله كي نمنع من الشر ونسلم من عذاب الجحيم ، ثمرة سلسلة ملعونة من الأعمال الشريرة. إن الصلاة والإيمان بالله تقوى الى حد بعيد ميلنا إلى ما هو جيد والتوبة وطلب مغفرة الله يضعف إلى حد كبير ، وحتى يدمر ميلنا تجاه الشر والخطيئة.

٢- النعمة الإلهية والأقدار:-

القدر الإلهي يعني اصطلاحا قضاء الله ومشيئته والتي تتضمن أفعالنا وسكناتنا بإذن من الله وأمره فإن الله يوفقنا في أفعالنا بمشيئته وإذنه. فعبارة النعمة الإلهية تعني في اللغة العربية " عطاء " والتي تعني المنه والعطاء دون الرجاء إن الله غني عن العالمين .

لله اللوح المحفوظ (مكتوب فيه الأقدار وعلم المولي جل وعلي) وسجل الأحداث الدنيويه (يتعلق بالأحداث الزمنية والأقدار) .

إن هذه المسألة الدقيقة صعبة الفهم، برغم أننا لا نستطيع أن نفهم بطريقة كاملة حقيقة هذا الطمس وهذا التأكيد الذي نشهده دائماً في حياتنا. مثلاً، يوماً ما سنترك أوطاننا بقصد الذهاب إلى مكان ترتكب فيه الذنوب بحرية، ورغم ذلك، فإن الله برحمته وإحسانه يرتب لنا مقابلة بعض الأصدقاء الطيبون الذين يقنعونا بالذهاب إلى مكان طيب.

وبالمثل، فنحن نرتكب الذنوب بحرية ولذلك نكون عرضة لأن تصيبنا المصائب والابتلاءات، ولكن بدلاً من أن يحاسبنا الله بذنوبنا فإن الله برحمته يعفو عنا ويخلصنا من هذه المحن والابتلاءات.

إن الرحمن الإلهية والنعمة الإلهية موجودة ولذلك فنحن يتوجب علينا ألا نيأس من رحمته حتى يمكننا التوجه له رغم ذنوبنا وآثامنا ولذلك لا يجب علينا أن ننظر لأنفسنا أننا ملزمين إلزاماً كاملاً بالعواقب التي رمى بها لنا القدر الإلهي نتيجة لأعمالنا. وهذا يتضح لنا من الآيات التالية:

(يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) سورة الرعد(الاية ٣٩)

إن العفو الإلهي والتسامح يظهر لنا بصورة أكثر وضوحاً في التاريخ الإنساني، فيما أننا مسئولين ومحاسبين على أفعالنا وأعمالنا، فإننا ندير تاريخنا الخاص بنا. فمثل هذه الفلسفات التاريخية مثل التاريخاتية تعتبر خطأً ذلك لأنه لا يوجد شيء قاطع في التاريخ أو الأحداث التاريخية.

فكثير من الشعوب على مجرى التاريخ مثل: عاد وثمود وفرعون يستحقون الفناء نسبة لأسلوب حياتهم الملئ بالظلم والفجور. ولذلك استأصلهم الله وتخلص منهم، ومع ذلك نجد أن قوم نوح اتجهوا لله بكل صدق وندم وأصلحوا من أخلاقهم وطريقة سلوكهم بعد أن رأوا علامات وآيات الدمار الوشيك، ونتيجة لذلك، **(فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)**سورة يونس (الاية ٩٨)

وقد أكد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على هذا بقوله: (الخوف لا يمنع البلاء، ولكن تمنعها الصلاة والصدقات).

لذلك يتوجب على المؤمنين ألا يتركوا الصلاة وإيتاء الصدقات. وعندما يرون العذاب قادم يتوجب عليهم التوجه إلى الله حالاً متوسلين له ويدعونه نادمين على ما فعلوه وتحرجوا الصدقات أو يؤدوا بعض الخدمات إلى الإسلام.

٣- الحكمة الإلهية من خلق الناس مختلفين:

لماذا خلقنا الله مختلفين في مستوى الذكاء وأسلوب الحياة والتكوين الجسدي؟ لماذا سمح بالمصاعب والفقر بين الراحة والرفاهية؟ مثل هذه الأسئلة لها بعض الجوانب التي تعين على فهم الطريق الإلهية في حكمه.

يجب علينا أن نعرف الله قبل مناقشة هذه المسالة، علينا أن نشير أن كل هذه الأسئلة ناشئة من عدم معرفتنا بكينونة الله. إذا كان لدينا رغبة كبيرة في معرفة كل شيء عن الله مثل تلك التي نبديها لمعرفة نجم سينمائي أو شخصية رياضية. إذا أمكننا الحصول على الموارد الضرورية التي يمكننا أن نعرف بها شيء عن ربنا، وإذا درسنا كتاب العالم وفقاً للخصائص والمميزات التي أسسها ووضعها القرآن، وإذا اتبعنا المبادئ التي أرساها النبي لتأسيس حياة حقة – إذا فعلنا كل هذا فإننا سنتحقق من البعد اللامادي للأشياء والأحداث من خلال ضمائرنا.

فإذا أمكننا أن نصل لهذا المستوى فإننا لا نحتاج إلى أن نطرح مثل هذه الأسئلة. ولكن طالما فصل العلم نفسه من الدين والتفكر والتأمل استبدل بالحياة الميكانيكية والمعلومات الجماهيرية فإننا سوف نستمر في طرح هذه الأسئلة ونجد صعوبة في معرفة خالقنا.

إن الله يراقب ويتحكم في كل شيء ويفعل ما يشاء: انظر في دعاوينا بالملكية والتحكم فيما نعتبره من ممتلكاتنا. أي نصيب لنا نمتلكه في إنتاج الطعام الذي نستهلكه؟ فكل لقيمة من الطعام تتطلب وجود العالم بكامله. فإذا كان بمقدورنا أن ندعي ملكية ممتلكاتنا الخاصة والتي لدينا فيها نصيب قليل، فلما إذن لا يتوجب على الله الخالق والمتفرد مالك الكون بكل ما يحويه أن يكون كامل التصرف والتحكم في ملكه؟

إن أسماء الله العلي لها تجليات وتمظهرت مختلفة؛ فاسم الكافي بمعنى يزود الناس بما يحتاجونه في حياتهم واسم الشافي يمكن المرضى من التعافي واسم المجيب بمعنى أنه يأتي لمساعدة وعون المحتاج، ويحذر أو ينبه الغافلين باسمه All–Distressing ويخفف المكروبين باسمه All–Relieving . إذا درسنا تجليات أسماء الله فإننا نرى الجمال في التعدد الذي تحدثه في الكون ونفهم الحكمة من وراء هذا الاختلاف في الخلق. إن الله يجعل نفسه معروفة من خلاله تمظهره وتجليه في أسمائه. مثلاً، إن الازهار تبتسم لنا نتيجة لتجلي وتمظهر أسمائه المتأصلة في سموه، بينما الكوارث الطبيعية تذكرنا بغضبه كتمظهر لأسمائه المتأصلة في جلاله وعظمته.

كل شيء نعمة وبركة من الله؛ لا يمكننا أن نسأل الله العلي عن ما أعطانا له أو لم يعطنا له. نذكر أن الله لم يخلقك كعنصر ميت سواء كان نبات أو حيوان، ولكنه خلق كإنسان.

وأيضاً، مثلما أن هنالك أناس أغنياء وأصحاء أكثر منك هنالك أيضاً أناس أفقر وأكثر مرضاً منك. ولذلك فيما يتعلق بالغنى والصحة فخذ العبرة من أولئك الذين أكثر منك فقراً ومرضاً. وفيما يتعلق بالأمانة والأخلاق والتعليم والإيثار والصدق والشهامة والكرم ... إلخ نافس أولئك الذين هم أفضل منك.

أفرض أن هنالك شخص ثري وهب ثلاثة أشخاص معدمين مشقة سكنية ومنزل كبير منفصل وقصر على التوالي. هل يحق للشخص الذي أعطي الشقة السكنية أن يسأل الرجل الثري لماذا لم يعطه المنزل المنفصل أو القصر؟ وبالمثل، فإن كل ما لدينا هو من الله. وبالتالي، سواء كنا أثرياء أو فقراء سالمين أو معاقين، أصحاء أو مرضى فإننا ملزمين بشكر الله.

نحن نزرع هنا ونحصد في الحياة الأخرى: هذا العلم ساحة تجارب، هو مكان نبحث فيه اكتساب الحالة والوضع المناسب والأمثل للحياة الأخرى. وهذا الأمر ليس سهلاً، فذلك مثل الترزي الذي يفصل ويصمم أفضل ما يستطيعه من بدلة لزبون بقص وخياطة المادة ويجعل الزبون يجربها ويقيسها. فالله العلي يجعلنا نتجه حولنا في حالات متعددة حتى (يشكلنا) للحياة الأخرى.

نحن مثل المادة الخام التي يتوجب تنقيتها من الشوائب، ومثلما أن هنالك الكثير من أنواع المواد فإن حياتنا الاجتماعية تتطلب منا أن يكون لدينا مستويات مختلفة من الذكاء والأجساد والقوى والأحاسيس. واعتماداً على الناتج النهائي المرغوب فيه سواء كان ذهباً أو ماساً، فحماً أو نحاس، فإنه يتم تطبيق عمليات مختلفة وطرق على المعدن الخام. وبالمثل، فإن كل واحد منا قد يحتاج لاختبار مختلف أو تجربة أو تدريب حتى يصفي وينقي من الشوائب ويصل إلى المستوى النهائي. وهذا يعني أن الله يخضع كل واحد منا إلى مستويات مختلفة من الألم والحزن حتى يرفعنا إلى حالة مثلى ومناسبة للعالم الآخر.

هذا الكون أيضاً عالم من المشاكل، فعندما حذر الله آدم من ألا يأكل من الشجرة المحرمة ذكره(**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)** سورة طه/الآية ١١٧ **(وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى)** سورة طه/الآية ١١٩.

وهذا يعني أننا سوف نجوع وتعطش ونتعب وتواجه المصاعب والمشاق في العالم – وهذا يجب أن يحدث ذلك لأننا من هذا العالم نبذر البذور التي سوف يتم حصادها في الحياة الأخرى. إن أولئك الذين فقط لإشباع رغباتهم هم في أغلب الأحوال أولئك الذين خاطبهم الله في العالم الآخر بالكلمات الآتية:

(قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) سورة الشعراء(الآية–٢٠)

وفي الجانب الآخر، الذين يستحملون الجوع والعطش والمصاعب الأخرى هنا من أجل مرضاة الله سوف يدخلون الجنة ويخاطبهم الملائكة بقولهم:**(كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)** سورة الحاقة الآية (٢٤).

كلما كثرت النعم كثرت المسئوليات، كلما وهبك الله بالنعم والبركات والخيرات فإنه مسئوليتك تكبر. مثلاً، إن الصدقات إجبارية على الموسرين بينما المعاقين أو غير القادرين والعمى والمرضى لا تكون عليهم مسئولية تجاه الله. وللتعبير عن أعظم درجة من التقوى قال نبي الله عيسى:

ماثيو ٥ (٣٠ – ٢٧ – ٥).

انجيل (متى).

ولذلك، لا نعرف ما إذا كان الغنى أو الفقر أو الصحة أو المرض هو الذي أفضل لنا. ويخبرنا القرآن: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

علاوة على ذلك، فإن كثير من الأغنياء يستمتعون بالطعام والشراب وجمال العالم أكثر من الفقراء نسبة لفقدان شهيتهم أو صحتهم السيئة. ورغم أن الفقر شيء لا يرغب فيه وكما قال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) يؤدي إلى الكفر، فإنه من الصعوبة الزعم بأن الأغنياء دائماً أسعد من الفقراء. لا أحد يمكنه الجزم بأن الناس في العصور الوسطى، عندما كانت مستويات المعيشة متدنية أقل سعادة من أغنياء الناس في عالم اليوم. فالسعادة تكمن في الإشباع الروحي وليس في امتلاك المقتنيات المادية لإشباع الرغبات الجسدية.

ونقطة أخرى نؤكد عليها هي لا يتوجب على شخص التذمر والشكوى من المصاعب والمشاق. فعندما نقارن ذلك بأوقات الصحة الجيدة والراحة والسعادة فإن أوقات المرض والمشاق لا تسوي شيء. وأيضاً نحن عادة نعيش غير مدركين للنعم والهبات التي نتلقاها. فمثلاً، الشمس تشرق كل يوم وترسل لنا حرارتها وضوئها بدون مقابل. ونحن لم نحرم من الهواء والذي بدونه نموت في الحال رغم أننا لا ندفع لذلك مقابل. وكل الحوادث الطبيعية اللازمة لنزول المطر تظهر وتتم دون مساعدة منا. والذي يتوجب علينا فعله هو أن نشكر الله على هذه النعم وغيرها (والتي لا نستطيع أن نوفرها لأنفسنا) ذلك لأن الجزء الأكبر من حياتنا (نقضيه في الصحة والراحة) وعلينا عدم الشكوى إلى الله عن المرض والمصاعب أو فقدان بعض النعم الإضافية.

يجب ألا نعتبر المساواة من الموارد المادية والقدرة الفكرية والجسدية هدف اجتماعي مرغوب ذلك لأنها لا تتوافق مع متطلبات الحياة الاجتماعية – هذه الاختلافات علاوة على تلك الموجودة في الطبع الإنساني وتصرفه وما يفضله تحفظ تعدد وتنوع المجالات الإنسانية وهي عنصر أساسي لحياة الإنسان الاجتماعية – فالتنوع يجعل الناس يحتاج كل منهم إلى الآخر وتأسيس علاقات مشتركة جيدة.

ومع ذلك، يتوجب أن تقوم هذه العلاقات على العدل والحب المشترك والاحترام والتفاهم والاهتمام. ويجب ألا تقود إلى البغض والخداع أو العداء الطبقي ووفقاً (لسيد نورسي – ١٩٦٠) وهو عالم ومفكر إسلامي وناشط بدأ إحياء إسلامي رئيسي في تركيا في النصف الأول من القرن العشرين، أن السبيلين الرئيسيين لكل الثورات والانتفاضات التي حدثت في القرون القليلة الأخيرة كان: (لا أهتم إذا مات الآخرين من الجوع طالما أنا شبعان) و(أنت تعمل حتى آكل أنا).

إن الإسلام عالج الموقف الأول بالزكاة وهي ضريبة إلزامية على أثرياء المسلمين لتوزع على الفقراء والمحتاجين وعالج الثاني بتحريمه لكل المعاملات القائمة على

الفائدة، والإسلام أيضاً مجسد فضيلة مساعدة الفقراء والمحتاجين إن حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين هي مثال جيد ليتبعه المسلمين.

الغرض من الابتلاء، قبل أن نختم علينا أن نشير إلى أن المرض والألم رغم أنها غير مرغوبان ومخيفان في مظهرهما إلا أن لهما نتائج جيدة، وذلك مثل ما نعاقب أطفالنا لندربهم، وقطع طرف مريض أو استخراج دواء من لعاب ثعبان فإن معظم الألم والأمراض تأتي بنتائج جيدة.

إن رفرفة جناحي النسر يجعل من العصفور الدوري حذراً وينمي فيه الإحساس باليقظة ويعطيه فرصة الهروب. قد يتأذى الناس بالأمطار أو الكهرباء ولكن في واقع الأمر لا أحد يلعن ذلك. قد يكون الصوم شاقاً ولكنه يوفر الطاقة للجسم والنشاط والمقاومة. فجهاز المناعة الخاص بالطفل يقوى بفعل الأمراض. والتمارين ليست سهلة ولكنها مهمة لصحة الجسد وقوته، وأرواحنا تنقى وتكتسب الوضعية التي تستحق الحياة من خلال المشاق والتأمل والتفكر مثلما تكسب ذلك من خلال المرض والألم والمصاعب.

إن الله يعطي جزءاً كبيراً لتضحية قليلة. إن المصاعب والآلام يرقن بنا إلى درجات روحية عالية ويتم الجزاء عنها في العالم الآخر أجزل الجزاء بصورة لا نتخيلها. ولهذا السبب فإن الأنبياء قد تكبدوا أقسى أنواع المشاق والمصاعب وتبعهم أناس قديسون ومؤمنين كل واحد منهم حسب درجته من الاعتقاد والإيمان.

أيات القرآن لا تتناقض مع بعضها ، قد خلق الله أي شخص باحتمالية تقبله ألإيمان ، ولكن كل من الأهل او الأسرة و الظروف التعليمية و الاجتماعية المتواجدة لديها دور محدد في هداية و ضلال الفرد ، أرسل الله الرسل و بعضهم قد تسلَم الكتب المنزلة لدعوة الناس إلى الإيمان، لكي يصلح الناس أنفسهم ، فالنبي محمد هو الرسول الأخير ، و القرآن المنزل هو الكتاب الإلهي الوحيد الغير مُفسد (محرف) ،

فالقرآن يحتوي على اساسيات و مباديء الهداية ، فالرسول يقدم الهداية سواء أكان بالكتاب او بشخصيته ،او معاملته و أسوته الحسنة ، فهو يتلو الوحي الإلهي ، يُري آيات الله للناس (او في حالة النبي محمد (ص) أُرسل لكل البشرية ككل) ، ، وهو يشير إلى المفاهيم الخاطئة و الخرافات و الآثام .

أي شيء ، أو حدث أو ظاهرة تعتبر كدلالة تشير إلى وجود الله و توحده ، وبالتالي إذا آمنا مخلصين من غير إجحاف ، و بالصراع ضد الرغبة الشهوانية و الإغواءات التي تتسببها النفس الأمارة بالسوء و الشيطان.و إستخدام إرادتنا الحرة لنجد الحقيقة ، فإن الله سيرشدنا إلى الطريق الموصل له ، فقد قال تعالى في القرآن الكريم :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾–سورة المائدة

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ –سورة العنكبوت .

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ الطلاق

لنجد أو لنستحق الهداية علينا أن نخلص في السعي لها و البحث لطرق تؤدي إليها ، فالذين يباركهم الله بالهداية عليهم أولا أن يتلقوها بوضع الأسوة الحسنة ثم دعوة الآخرين لإعتقاد أي وسائل شرعية (إسلامية) ، فالله بأمر الرسول تكرارا لعمل ذلك فقط هنا وفي الآيات الأخرى :

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ الشعراء

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴿٢١﴾الغاشية

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُوَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ الحجر

ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾النحل

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَوَذَكَرَاللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ الأحزاب

رسول الله يوصل الوحي الإلهي المنزل إلى الناس ، ويدعوهم إلى الإيمان بأفضل و أكثر الطرق فعالية ، و لقد لاقى و أحتمل من الصعاب و الإضطهاد لفعل ذلك .

لقد رفض أكثر الرشاوي إغراءا المعمولة لكي لا يدعو الناس بالإيمان ابلرب الواحد(الله) ، وقد واصل مهمته من غير أن يتوقع أي جائزة دنيوية ، ساعيا وراء رضا الله و فلاح الناس في العالمين الدنيوي و الأخروي ، عندما غزا مكة (بمساعدة الله) و جعل كلمته هي العليا ، لقد عفا عن المكيين الذين أضطهدوه بدون رحمة ل٢١سنة ، قائلا "لا عتاب عليكم اليوم ، الله سيغفر لكم (لأنه) هو أرحم الراحمين ، إذهبوا ! فأنتم الطلقاء

إ بن سعد ، الطبقات الكبرى ٢.١٤٢ ، إبن إسحق ، السيرة النبوية :٢:٤٠٢.

لقد قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يوما لعلي (رضي الله عنه) "لأن يهدي بك الله رجلا واحدا ، خير لك من حمر النعم"و وفقا لقاعدة "الدال على الخير كفاعله " من يقود شخص إلى الهداية يؤجر و يثاب كما يثاب الذي إهتدى من غير أن ينقص من أجره شيئا ، وبالمثل ،

كما قال الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** " :

مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا إلى يوم القيامة ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ . وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا إلى يوم القيامة ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)

إذا قدت أناس غلى الهداية ، لا تذكرهم بقولك لهم "لقد وجدتم الهداية أو إهتديتم بسببي " هذا إثم كبير و جحود لله ، لأن الله فقط الذي يهدي و يسخرك لكي تقود الآخرين للهداية ، وبالمثل ، لمن إهتدوا لا يجب عليهم قول "لولاك، لما إهتديت أبدا "

إذا قدت ومهدت الآخرين إلى الهداية يجب أن تفكر في شيء مثل "الحمدلله ، الذي سخر رجل فقير محتاج مثلي ليقوم بهذا العمل الجدير بالتقدير ، فالله القوي ، الرحيم ، الجواد لعباده ، والذي خلق عناقيد العنب في الخشب ، فالخشب ليس لديه اي نسب لذاته ولكن ينمو العنب عليه ، فلا يجب أن أنسب هداية شخص آخر لنفسي " ، وللأشخاص الذين وجدوا الهداية، عليهم بان يفكروا في شيء مثل :"الله ، مرشدي ، لقد رأى إحتياجي وبأسي و أذِن و سخرعبده لكي يقودني إلى الهداية ، فالحمدكله لله "

البخاري ، جهاد، ١٠٢، مسلم ، فضائل الصحابة ٣٥.، "حمر النعم " هو مصطلح مجازي أستخدم بواسطة العرب في القرون الوسطى ، لأثمن الأشياء التي يمتلكها الواحد.(تي آر) ،
مسلم ،زكاة :٦٩ ،إبن ماجة ، المقدمة ،٢٠٣.

وكذلك ، الذين إقتادوا إلى الهداية يمكنهم بالشعور بأنهم شاكرين لمن سخر لهم الله من مرشد (هادي) ، بعد كل ذلك ، منذ أن خلقنا الله ، و خالق أفعالنا ، و كذلك خلق الوسائل التي تمكن من الهداية و الضلال ، ولكن هذا لا ينافي او يقلل من جزء من إرادتنا الحرة في الإهتداء أو الضلال .

٤- تعليق ختامي :

معظم الغربيين المستشرقين قد إتهم الإسلام لكونه جبري "قدري" بالرغم من أن هنالك فقط طائفة إسلامية صغيرة تدعى "الجبرية" قد دافعت دوما عن الجبرية ، وعلى النقيض نجد أن معظم الفلسفات الغربية في التاريخ و لمدى من الزمان ، مثل المسيحية فهي

جبرية و قائمة على قوانين تاريخية مقترحة وغير مقاومة ، فالخطوط العريضة لتلك الفلسفات في التاريخ يمكن ان يتم إختصارها

بالتالي :

- البشرية تتقدم بثبات ناحية النهاية السعيدة .
- التقدم يعتمد على الجبرية و قوانين التاريخ المستقلة كليا الجبرية التي لا يمكن مقاومتها، لذا يجب علينا طاعة هذه القوانين إذا أردنا أن لا نُستبعد.
- لا يمكن أن ننتقد المراحل (مثلا .البدائية و الإقطاعية و الرأسمالية) ولكن قطعا علينا المرور بها ، لانه ليس لدينا ما نفعله سوى المرور بها .

هذه الرؤى تعني الآتي : أن الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية و حتى الأوضاع السياسية هي امر لا بد منه ، لأنها أُمليت بالطبيعة ، تلك المراسيم(القرارات) فقط القابلة للتطبيق و القوية هي التي تعيش .إذا كانت هذه القوانين قد حظيت في الغرب ،في المجتمعات التي تختار ان تعيش يجب أن تذعن لسيادة الغرب .

وما يميز المفهوم القرآني للتاريخ من الفلسفات الأخرى هو الآتي :

- حينما كان فلاسفة التاريخ أو علماء الإجتماع قد بنوا مفاهيمهم في التفسير للأحداث الماضية و الأوضاع الحالية ،كان القرآن يتعامل مع المادة من منظور المباديء الغير متغيرة .
- يؤكد القرآن على حرية الإختيار للفرد و الجماعة و السلوك الأخلاقي بالرغم من أن الإله سيكون في بعض النواحي جيست في الفلسفة الهيغلية و المطلقة

٥- أساسيات الاعتقاد و الإيمان في الإسلام

و القوانين التي لابد منها في التاريخ في الفلسفات الأخرى ، فالقرآن لم يرفض الإرادة الحرة للإنسان ، الله يختبر البشرية هنا لكي يزرعوا حقل العالم للحصاد في الحياة الآخرة الخالدة ، ولهذا السبب كل ما يحدث هنا من أحداث و مناسبات بمشيئة وأسباب الله

المتتابعة و المتعاقبة لكي يتميز خيار الناس من الأشرار ، فالإمتحان (الإختبار) يتتطلب ان يكون الممتحن لديه الإرادة الحرة للإختيار ، ولذلك ، بالرجوع إلى القرآن نحن الذين نصنع التاريخ وليست إرادة الإله ألإلزامية ، الله يستخدم ببساطة خياراتنا ليجلب إرادته الكونية حيز التنفيذ ،إذا فُهمت هذه النقطة ستكون فلسفات الغرب ومفهوم بعض من "النهاية الحتمية "ستكون لا أساس لها .

الباب الرابع

القيامة والحياة الآخرة

فضائل الإيمان بالقيامة(يوم القيامة) :

بعد الإيمان بالله ، الإيمان بالقيامة له الصدارة في تأمين النظام الإجتماعي السلمي ، لما يجب لأولئك الذين لا يؤمنوا بأنهم سيتم محاسبتهم للسعي لحياة صادقة و قويمة ؟ و لكن اولئك الذين منا المقتنعين بالحساب الأخير في الدنيا الآخرة من المؤكد بأنهم سيحاولون العيش في حياة منظمة وقويمة ، فالقرآن يقول :

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ يونس

هنالك بعض الملائكة الموكلين بتسجيل كل ما نفعله ، فالله لديه كامل العلم و الإدراك لكل أعمالنا ،و نوايانا ، و أفكارنا ، و تخيلاتنا ، من يفهم ذلك (ويعمل لذلك) سيجد السلام الحقيقي و السعادة في الدارين (العالمين) ، العائلة و المجتمع المكون من اولئك الأفراد سيشعرون بأنهم سيكونون في الجنة .

الإيمان بالقيامة يقي ويمنع الشباب من تضييع حياتهم في الأشياء الزائلة و التافهة ، ويعطي الأمل للكبار بأنهم ذاهبون للقبر ، و كذلك يساعد الطفال في تحمل موت من يحبون .الأطفال الذين .....